الأهرام

المصدر :

التاريخ :

اتفاق «غزة ـ أريحا» والوفاق العربى

فى الوقت الذى يرى فيه الفكر التقليدى ان الصراعات والنزاعات والحروب تعد عامل توحيد للشعوب التى تواجه تلك الظواهر، فان الفكر الحديث يرى عكس ذلك، اذ يؤكد ان السلام والاستقرار يدفع الى الوفاق والاتفاق ويستثير قوى التعاون والتبادل والمشاركة، اذ يرى ميكافيللى مثلا ـ وهو المفكر الايطالى ذو الاتجاه الواقعى ـ انه من اجل خلق تكامل واجماع داخلى يجب على صانعى القرار خلق اعداء خارجيين للامة لان ذلك يخلق احساسا مشتركا بالخوف على المصير المشترك مما يدفع الامة الى الوقوف صفا واحدا خلف النظام السياسى وضد الاعداء، وهكذا يرى علماء السياسة الامريكية ان الصراع العربى الاسرائيلى قد وحد العرب ضد اسرائيل.

عبدالمنعم المشاط *

كما يرى علماء السياسة العرب ان اسرائيل لايمكن ان تعيش فى سلام لان الحرب عامل توحيد للاسرائيليين خوفا على مصيرهم المشترك الى حد ان البعض بدأ يقارن بين المجتمع الاسرائيلى والمجتمعات الاخرى بالقول ان اسرائيل مجتمع عسكرى يقوم بوظائف مدنية، بينما المجتمعات الاخرى هى مدنية تقوم بوظيفة عسكرية ـ أي الدفاع.

والحقيقة ان الحجج آنفة الذكر لها بعض الوجاهة، ولكن يبدو كذلك انها تتسم بالمبالغة الشديدة، ففكرة التضامن والوفاق العربى أسبق بكثير من الصراع العربى الاسرائيلى حيث وجدت جذورها فى الفكر السياسى العربى فى بداية هذا القرن، وفى ثورات عربية عديدة ضد المستعمر وتمثلت مؤسسيا فى جامعة الدول العربية والتى انشئت عام ١٩٤٥ أي قبل انشاء اسرائيل بثلاثة اعوام، كما ان التضامن الاسلامى والذى يتمثل اليوم اساسا فى منظمة المؤتمر الاسلامى والتى انشئت فى اعقاب مؤتمر الرباط كرد فعل لحريق المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ لم يكن وليد الصراع العربى الاسرائيلى ولكنه يعود الى الربع الاول من هذا القرن والى جهود كل من الملك عبدالعزيز والملك فؤاد ثم جهود المسلمين فيما بعد، وكل ذلك قبل انشاء اسرائيل.

وحقيقة الامر ان الصراع العربى الاسرائيلى بدأ منذ انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ ولكنه اليوم لعب دورا اساسيا فى الدفع الى درجة كبيرة من التضامن والوفاق العربى ففى عام ١٩٤٨ دخلت جيوش سبع دول عربية الحرب ضد اسرائيل، وفى عام ١٩٥٠ تم توقيع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول اعضاء جامعة الدول العربية، وهى الاتفاقية التى تؤكد على الضمان الجماعى العربى ضد اسرائيل، والتى تنص على انه لايجوز لاية دولة عربية ان تعقد اتفاقا منفردا مع اسرائيل، وهى كذلك التى أنشأت اول مؤسسات امنية عربية مشتركة وهى مجلس الدفاع العربى المشترك واللجنة العسكرية الدائمة التى تساعده

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

كما رفضت الدول العربية الارتباط باية أحلاف غربية انطلاقا من حقيقة ان لاسرائيل علاقات خاصة بالغرب، وكانت الوحدة المصرية السورية والمحادثات بين مصر والعراق وسوريا ثم الاتحاد الثلاثى بين مصر وسوريا وليبيا مقدمة للموقف المشترك ضد اسرائيل فى حرب ١٩٦٧.

يضاف الى ماسبق الموقف التاريخى الذى وقفته المملكة العربية السعودية ودول النفط العربية لمواجهة الخطر الاسرائيلى من زاويتين. الاولى تقديم المساعدة والمساندة الى دول المواجهة العربية بناء على مقررات مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧، والثانية فرض حظر على تصدير النفط الى الدول الغربية عام ١٩٧٣ حتى تعدل من سياساتها المؤيدة لاسرائيل، والواقع ان هذا الموقف والذى وصل قمته فى مؤتمر قمة الرباط عام ١٩٧٤ حيث تم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى، كان من اهم العوامل التى ساعدت على وحدة الصف العربى ضد اسرائيل، بل انه يمكن القول بأن الموقف العربى الموحد ضد اتفاقيات كامب ديفيد كان يعكس الحرص العربى على تطبيق معاهدة الدفاع المشترك.

هل كانت رغبة اسرائيل فى شق الصف العربى وتاخير الوفاق وراء هذا الاتفاق الاخير، وهل يمكن ان يصير السلام عامل توحيد كما كان الصراع عامل توفيق؟ لابد من استقراء الواقع قبل ان نستنبط من النظريات المختلفة، فقد عجز النظام العربى عن التعامل مع اتفاقيات كامب ديفيد وتمثلت آثارها الجانبية المترتبة على عزل مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية معها فى الحرب العراقية الايرانية ثم الغزو العراقى للكويت ثم الحرب الدولية ضد العراق عام ١٩٩١ من اجل تحرير الكويت، كما ان اسرائيل ذاتها لم تستطع ان تتحمل نتائج كامب ديفيد حيث قامت بضرب المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١، وقامت بغزو لبنان عام ١٩٨٢ وضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس فيما بعد، الا ان استجابة الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال كانت اكثر ايجابية حيث اشتعلت الانتفاضة الكبرى التى دفعت اسرائيل الى الاسراع بالاعلان عن الاتفاق الحالى.

فما هى التحديات التي يمثلها هذا الاتفاق والتى تدفع الى اهمية وحتمية الوفاق العربى؟

ان الاتفاق الراهن ومايعنيه من حكم فلسطينى على اراضى فلسطين العربية لاول مرة منذ عام ١٩٤٨ يتطلب توفير مبالغ طائلة لتحسين الاوضاع المعيشية فى قطاع غزة المحتل واريحا، وتتراوح هذه المبالغ مابين ٤ ـ ٦ مليارات دولار للسنوات العشر القادمة، ولقد احسنت دول الخليج صنعا حيث اقترحت تشكيل صندوق طوارىء لتمويل مشروعات التنمية والتطوير فى غزة واريحا كمقدمة للتطوير الشامل للضفة بعد تحريرها من اسرائيل.

كما ان هذا الاتفاق لابد ان يتضمن اتفاقات اخرى ضمنية اهمها على الاطلاق قبول اسرائيل كطرف فاعل فى نظام الشرق الاوسط، وهو نظام اوسع بكثير من نظام الوطن العربى الذى تمثله جامعة الدول العربية، فكيف يمكن للدول العربية ان تستجيب لهذا التطور الهام دون ان تجلس معا وتقرر كيفية التعامل مع تلك التطورات.

لكن الاهم من ذلك ويرتبط به من الناحية النفسية انه يصعب قبول التعامل مع اسرائيل بصورة عادية وودية وفى نفس الوقت عزل دول عربية اخرى عن الاجماع المطلوب لمواجهة التطورات الراهنة

ان توسيع النظام الاقليمى الذى ننتمى اليه يثير مشاكل ضخمة حول الهوية والانتماء والمؤسسات واتجاهات التفاعل.

ويثير مشاكل اخرى حيث انه يضم دولا ليست بالضرورة صديقة للدول العربية مثل اسرائيل وايران وربما دولا اخرى فى آسيا او افريقيا، ويصير من الاهمية بالنسبة للاقطار العربية ان تحدد منذ الآن وبصورة جماعية كيفية التعامل مع النظام الجديد والدول الخارجية التى تصير جزءا منه

ومن الممكن ان نتوقع ان اتفاق واعلان «غزة ـ اريحا اولا» قد يكون هو المناسبة المهمة التى تدفع الاقطار العربية الى الاسراع بعملية لم الشمل وعملية المصالحة المتعثرة حتى الآن والتى يتوسط فيها الامين العام لجامعة الدول العربية، بل ويمكن ان نقول بأن المصالحة والتى تؤدى الى الوفاق العربى هى الشرط اللازم لاستمرار النظام الاقليمى العربى فى وجه نظام الشرق الاوسط

---

* استاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية